تاريخ الأوراس أواخر الحقبة البيزنطية وقبيل الفتح الإسلامي
(نقدو دراسة للكتابات المصدرية)

The history of the Awrās in the late Byzantine period and before the Islamic conquest
(Criticism and Study of sources literature)

1– د. جمال عناق*، جامعة العربي التبسي –تبسة– (الجزائر)

djamel.annak@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2022/06/28 تاريخ القبول: 2022/10/13 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

جاءت كتابة هذه الورقة لتدوس وتنقد المصادر التاريخية العربية التي تناولت أخبار الأوراس في أواخر الفترة البيزنطية وبداية الفتح الإسلامي، والتي سنعكف على إحصائها ومن ثمة تحليلها ونقدها لكي يتسنى لنا الخروج بمجموعة من الملاحظات والنتائج حول الوضع العام للوجود البيزنطي في إقليم الأوراس بالمغرب الإسلامي. والأكيد أن دراسة هذا الموضوع لا يطرح إشكالية واحدة بل سيطرح إشكالات متعددة فالإشارات التي ذكرتها المصادر العربية في أواخر الفترة البيزنطية عن جبل أوراس، ستمكننا كمقدمة من إعادة بناء وتركيب تاريخ حواضره ومعالمه الأثرية والتاريخية. خاصة وأن نسبة كبيرة لا تزال مجهولة الهوية ولم تحض بالدراسة التاريخية والأثرية على غرار ما حظيت به نظيرتها في المشرق الإسلامي.

كلمات مفتاحية: الأوراس-الكتابات العربية-البيزنطية-المصادر-المدن.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

This paper will examine and criticize Arab historical sources that addressed al-Ūrās news in the late Byzantine period. which we will analyse so that we can reach a series of observations and conclusions on the general situation of the Byzantine presence in the Awrās region of al-Maghrib al-Islāmī.The study of this topic certainly does not pose a single problem, but it will raise many questions.The references made by Arab sources in the Byzantine era to Mount Awrās are a prelude through which we will be able to rebuild and install the history of its cities and archaeological and historical monuments, especially since a large proportion of them remain unidentified and have received no attention as they did in the Mashriq al-Islāmī.

Keywords: al-Ūrās - Arabic Writings - Byzantine - Sources – Urbans.

- **مقدمة:**

ان البحث في تاريخ الأوراس هو كالبحث عن إبرة في كومة قش، فالباحث ستواجهه العديد من الصعوبات والعوائق التي تجعل الإقدام على هكذا موضوع من قبيل المغامرة. ولنذكر من بينها المتعلقة أساسا بمسألة ندرة المعلومات الواردة في مختلف المصادر التاريخية التقليدية في ظل الغياب المطلق للبحث الأركيولوجي بالمنطقة، والذي بإمكانه أن يعوض غياب الوثائق والنصوص المكتوبة لفك طلاسم بعض القضايا الحاسمة من تاريخ هذا الإقليم الشاسع بالرغم أن تاريخ المغرب الإسلامي قد لقي اهتماما من طرف المؤرخين المسلمين، فإن هؤلاء أهملوا تتبع أخبار المنطقة في الفترة السابقة على الفتح باعتبارها فترة شرك وجاهلية مذمومة، وكذا لما قد يثيره الحديث عن هذه الفترة من حساسيات من شأنها أن تهدد رابطة "الأخوة الدينية" التي انبنت عليها علاقات العرب الفاتحين بالشعوب المفتوحة خاصة ونحن هنا نتكلم عن منطقة كان تاريخ فتحها من قبل المسلمين وما تلاه من أحداث كان من الصعوبة والمحضور النبش فيه كمسألة وقضية الفاتح عقبة بن نافع مع الملك البربري كسيلة، و قضية حسان بن النعمان مع الملكة دهيا او المعروفة بالكاهنة، وفي ظل هذه الصعوبة والحساسية التاريخية المفرطة، وفي ظل غياب مطلق للمعلومات والتدوين التاريخي سواء أكان بالأمازيغية أو بالعربية و اذا استثنينا ما ورد في المصادر العربية الأولى عن حركة الفتح الاسلامي،أو في كتب النسابة من معلومات عن أصول القبائل الأمازيغية وتحركاتها وهي معلومات لا يمكن الركون إليها، بالنظر

للدوافع المتحكمة فيها فضلا عن طبيعتها التي تبتعد كل البعد عن منطق الكتابة التاريخية الحقة- فكان لزاما علينا ان نتتبع سيرورة الكتابات العربية الأولى التي تحدثت عن هذا الاقليم خصوصا.

1. طبيعة الكتابات المصدرية الأولى:

اهتم المؤرخون القدماء خصوصا عند حديثنا عن بعض الكتابات القرطاجية بما قدمته من أخبار حول المنطقة قبل الفتح الإسلامي اهتموا أساسا بالمراكز والمدن الساحلية في إطار نشاطهم التجاري البحري، وأهملوا المناطق الداخلية ، في حين تركز اهتمام المؤرخين الرومان أساسا على المناطق الخاضعة لنفوذهم المباشر الذي لم يتجاوز "خط الليمس"(Limes) ، نظرا لضراوة المقاومة الأمازيغية[1]، لذلك سنرى أن تاريخ القرى المستحدثة أو المدن التي كان لها شأن ظلت خارج دائرة أضواء هذه الكتابات في العصر الوسيط، ورغم أن اسم المدن والمسالك بدأ يتخلل كتابات مؤرخي العصر الوسيط فإن الكلام عنها كان يتم عرضا لا غرضا، وما أبعد الحديث العارض عن استيفاء التفاصيل وترتيب الوقائع وتفسير الأحداث.

لقد ظلت المعلومات الواردة عنها في كتابات المؤرخين التقليديين المغاربة -إضافة إلى تقطعها واختصارها اللذين تقتضيهما الاختيارات المنهجية- مطبوعة بنوع من الانتقاء الشديد لما ينبغي ذكره أو ما يجب التغاضي عنه من أخبارها، وهو انتقاء لا يجد مبرره إلا في المواقف السياسية والمذهبية لهؤلاء المؤرخين من التطورات التي عرفتها التجمعات السكانية، والقرى والقصور عبر تاريخ طويل. ومن ثمة كان صخب الأحداث التي عاشتها غالبا ما يترجم إلى صمت مطبق في كتابات المؤرخين، وهو ما خلق لدينا تناقضا صارخا بين حقيقة الدور الذي لعبته المدينة في تاريخ المغرب الإسلامي من جهة، والحيز الذي تحتله في كتابات المؤرخين من جهة ثانية[2] ولذلك يمكننا إجمال هذه العوامل المسببة لهذه الوضعية إلى عامل مهم ورئيسي وهو العامل المنهجي، والذي يرتبط بنظرة مؤرخي المغرب الإسلامي التقليديين لعملية التأريخ؛ فهو لا يهتم إلا بتحركات الشخصيات "الرئيسية" التي يعتبرها صانعة للأحداث وفاعلة فيها، فيكتب تاريخه متتبعا هذه التحركات ومن ثم فإننا نجد هذا المؤرخ في نهاية المطاف لا يكتب سوى تاريخ شخصيات نافذة، وسلالات حاكمة وعواصم متعاقبة. كما أن اهتمامه بتعقب الأحداث السياسية البارزة يبعده عن الالتفات للوقائع الاقتصادية والاجتماعية، والوقوف

---

1. العروي عبد الله، **مجمل تاريخ المغرب**،ط1،المركز الثقافي العربي،الدارالبيضاء،2007 ص58-68

2. عمارة علاوة، موساوي زينب، "**مدينة الجزائر في العصر الوسيط**"، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، العدد10، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2010،ص ص 63-64

عندها بما يكفي من الدقة والتمعن. وبما أن تلك الشخصيات عادة ما تستقر بالعواصم، فإن هذه الأخيرة تستأثر في الأغلب الأعم باهتمام المؤرخ، الذي عادة ما لا يعير انتباهه للمناطق البعيدة عن المركز(العاصمة) إلا من خلال ما تمليه تحركات شخصياته "الفاعلة" على مسرح البلاد، ولا يؤرخ لها إلا من خلال "حركة" لردع تمرد قبلي أو لاستخلاص الجبايات... ورغم ذلك لا يستطيع الباحث ان يستغني عن هذه المصادر بسبب ما تحمله من معلومات وان كانت قليلة وعامة، وان تستدعيه الضرورة الاستنجاد بالمصادر الاثرية وغيرها...

و من خلال اطلالة وافية لهذه المصادر خاصة منها كتب الحوليات التي قدمت لنا بالرغم من ضآلتها وتجزئتها اوصافا مهمة عن الحالة السياسية والعسكرية الذي عرفها إقليم الأوراس في اواخر العهد البيزنطي، بالرغم من صعوبة المهمة لندرةالأ خبار المتعلقة بالمغرب في هذه الحقبة فما بالك اذا تعرضنا بالبحث عن أحد اقاليمه رغم أن مجيء البيزنطيين منذ عام 533م و الذين حاولوا إعادة الأوضاع إلى سابق عهدها في الفترة الرومانية و بالتحديد في الجهة الصحراوية حيث حاولوا التمركز في نفس الخطوط التي تمركزت فيها الحاميات الرومانية جنوب الأوراس في الليمس الثاني الجنوبي بمدن الجريد ومدن الأوراس و الزاب[1].

2.البدايات الأولى لظهور خبر الأوراس في الكتابات المصدرية:

لقد ظهر خبرالأوراس[2] ومدنه كجزء من إفريقية في المؤلفات التاريخية والجغرافية العربية منذ القرن 03ه/09م حين مر ذكره عند بن خياط و بن عبد الحكم والبلاذري وجموع المؤرخين و الجغرافيين

---

1 .. Despois .(j) Op Cit .P212 -214

2 . جاء في دائرة المعارف الإسلامية معنى كلمة "أوراس" حيث كانت تسمى في القرن السادس ميلادي أوراسيونوس أو ايوس أوروس وهو النطق القديم المسجل في الكتب كما ذكر بروكوب أما النطق الثالث أورايوس أوروس فقد جاء مستعملا في اللغة الفرنسية على الصورة التالية Aures (أوريس) ويبدو أن الكلمة قديمة الاستعمال وفي هذا المعنى تعني الجبل ولذا تعرضت للتغيير مع تعاقب المحتلين لهذا الوطن فنالها التحريف نوعا ما. وأصل الكلمة يعتقد أن تكون بربرية أطلقت على جبل جنوب خنشلة في جبل أوراس حاليا حيث نقل الاسم من الجزء إلى الكل وتكون سلسلة هذه الجبال شكلا رباعيا طوله من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب نحو 65 ميلا ويغطي في جنوب إقليم قسنطينة مساحة قدرها 3600 ميل2 وفي نهاية هذه الجبال من الغرب تلال الزاب القليلة الارتفاع وفي

اللاحقين عند بدأ حركية الفتح الاسلامي لإفريقية، في عهد الخليفة عثمان بن عفان سنة 26هـ/647م حيث نظمت حملة كبيرة يقودها عبد الله بن ابي السرح والي مصر، وتوجهت الى افريقية التي كان يحكمها آنذاك البطريرك جرجير و إلتقى الجمعان قرب سبيطلة فهزم القائد البيزنطي وقتل[1].

وبهذه الواقعة ينتهي الوجود الرسمي البيزنطي ولم يعد لهم وجود إلا كحاميات ضعيفة متناثرة هنا وهناك يسكنها الملاك الروم الكبار الذين قد يلجؤون الى استراتيجية الترغيب للجيوش الاسلامية كما حدث لهذه الحملة عندما قدموا مكافأة كبيرة للعرب مقابل مغادرة البلاد[2] ، او انتظار الفرصة السانحة للانقلاب عليهم كما سيأتي ذكره لاحقا.

وكما هو معروف فلقد توقفت حركة الفتح أثناء الفتنة الكبرى. ولما أستتب الأمر لحكم معاوية بن سفيان قرر معاودة الكرة سنة45هـ/665م لغزو إفريقية، حيث كانت اوضاع المناطق الخاضعة لحكم البيزنطيين قد تدهورت في خلال الثماني عشرة سنة اللاحقة بسبب الصراعات العقائدية. لتتهيأ الظروف ليقوم عقبة بن نافع بفتح حقيقي، يشد دعائمه بتأسيس مدينة مركزية للجيش الاسلامي وهي مدينة القيروان سنة 53هـ/652م.[3] وليتجه بعد ذلك غربا ليحاصر المدن البيزنطية الحصينة، ولما أستعاد عقبة مأموريته سنة62 -682م خلفا لأبي المهاجر دينار توغل في شمال غرب إفريقية ليستولي على أولى مدن الأوراس وهي باغاية[4] ولميس، ثم بعدهما تاهرت متوجها غربا نحو المغرب الاقصى، ثم

الشرق يفصل وادي العرب جبال الأوراس عن جبل ششار وفي الشمال تعلو هذه الجبال هضبة السباخ وحوض الطارف أما في الجنوب فهي تحف بالصحراء. راجع أيضا:

Robert.(C), L'Aures terre inconnue Encyclopédie mensei d'autre mer, Vol V, Paris, janvier 1955.

1 . بن خياط خليفة(ت240هـ)، **تاريخ خليفة بن خياط**، ت أكرم ضياء العمري،ط2، دار طيبة للنشر، الرياض 1985. ص 159. ينظر أيضا الى: ابن عبد الحكم(ت257هـ)،**فتوح مصر والمغرب**،ت عبد المنعم عامر،ج1،الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دون سنة. ص ص246-247. أيضا: البلاذري أبو العباس(ت 279هـ) ، **فتوح البلدان**، ت عبد الله أنيس الطباع – عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف – بيروت،1987. ص ص 316،317،318.

2.المالكي،عبد الله بن محمد،(توفي بعد 453هـ) **رياض النفوس**، ت بشير البكوش،ج1،ط2، دار الملايين،بيروت1994 ص17.

3 . العروي عبد الله، المرجع السابق، ص58-68

4 . البكري ابو عبيد،(2003) المسالك والممالك،ت جمال طلبة،المجلد الثاني،ط01، دار الكتب العلمية،بيروت،2003.ص259.

قفل راجعا في اتجاه القيروان متخذا لنفسه نفس الطريق الذي جاء منه وهو خطأ استراتيجي سيتحمل المسلمين عواقبه فيما بعد حينما أحاطت به جيوش الروم وعساكر البربر في أحد المدن الاوراسية، والتي تعرف بتهودة وهي من أعظم مدن المغرب [1] فانهزم واستشهد سنة 64ه/683م [2] ويصرح أغلب الإخباريين ان جيش كسيلة كان يضم عددا معتبرا من جنود الروم يبدو أنهم كانوا يعملون لمصالحهم الضيقة خاصة بعد انهيار السلطة المركزية البيزنطية، و ما يهمهم هو القضاء على الوجود الاسلامي الذي يهدد إمتيازاتهم.

وليستعيد زهير بن قيس البلوي المبادرة بعد نكبة مقتل عقبة بن نافع ويخرج منتصرا من معركة ممس سنة 67ه/686م، حيث قتل كسيلة ثم دخل القيروان. ويجهل فيما بعد سبب خروجه منها واتجاهه نحو برقة حيث استشهد هناك ليخلفه فيما بعد حسان بن النعمان الذي قاد جيشا كبيرا لم يسبق لإفريقية أن دخلها جيش بهذا العدد خاصة وانه انظم اليه عدد آخر من المسلمين البربر يقودهم هلال بن ثروان اللواتي [3] استطاع به ان يسترجع القيروان سنة 72ه/ 691م ليحارب بعدها الروم طويلا، واستطاع غلبتهم في قرطاج وبنزرت. لتتغير المعطيات العسكرية وهذا بتحالف بربر الأوراس و زعيمتهم الجديدة الكاهنة(داهية بنت ماتية بن تيغان) مع الجماعات البيزنطية التي لاتزال الى ذلك العهد تتواجد ببغاي وهذا ما تؤكده المصادر مثلما يذكره المالكي **((فنزلت بمدينة باغاية فأخرجت من بها وهدمتها)) ((فلما علمت بذلك سبقته الى مدينة باغاية فأجلت عنها الروم، وهدمتها))** [4]. وأما حسان فقد نزل بوادي مسكيانة..وزحفت اليه الكاهنة حتى التقى الجمعان سنة 75ه فألحقت به الهزيمة ثم تراجع الى برقة ولم تتعرض الكاهنة كما تذكر المصادر للقيروان بسوء ولم تدخلها، وانما عادت الى جبل أوراس مكان تحصنها ضد اي طارئ وكأننا بها تعلم بالحركة العسكرية المقبلة التي سيقوم بها حسان فيما بعد.

1. نفسه، ص168.

2 بن خياط خليفة(ت240ه)،المصدر السابق.ص 251

3. سيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الاسلامي**،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية،1982 ص 156.

4. المالكي،عبد الله بن محمد،(توفي بعد 453ه)، المصدر السابق، ص50

و أما البيزنطيون فيبدو أنهم تضايقوا من انتصارات وازدياد نفوذ بربر الأوراس بمجرد ان انهزمت ورحلت الجيوش العربية[1].فانتهز امبراطورهم ليونتوس هذه الفرصة وأعد حملة بحرية بقيادة البطريرك يوحنا أغارت على قرطاجنة في سنة 78هـ وقتل البيزنطيون من بها من المسلمين، و أعملوا فيها السلب والنهب[2] وهي محاولة منهم لاسترجاع ما أمكنهم من نفوذ الذي سلب من طرف العرب و البربر، بالرغم من التحالفات الظرفية والمشبوهة مع جيش البربر والظاهر عليها تغليب للمصلحة كما هي عادتهم.

ولا شك ان إنهزام البربر وزعيمتهم الكاهنة فيما بعد على يد حسان وجيشه خضع لعديد من المعطيات العسكرية والإستراتيجية، فضخامة جيش حسان في المرحلة الثانية لايعدو أن يكون سببه كما يذكر احد المؤرخين الا إنظمام البربر اليه، فإن بن عذارى يذكر:" **أنه كان مع حسان جماعة من البربر استأمنوا اليه، فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه من قبائلهم إثني عشر ألفا يجاهدون مع العرب، فأجابوه وأسلموا على يديه**" [3] أضف الى ذلك سياسة الأرض المحروقة التي اتبعتها الكاهنة ظنا منها ان المسلمين مجيئهم الى بلادها هو بحثا عن القصور والذهب والفضة وهذا ما أشار اليه الحميري ((**إنما يطلب حسان من إفريقية المدائن والذهب والفضة والشجر، ونحن إنما نريد منها المراعي والمزارع فما أرى لكم إلا خراب إفريقية، فوجهت البربر يقطعون الشجر ويهدمون الحصون، قالوا: وكانت إفريقية من طرابلس الى طنجة ظلا واحدا وقرى متصلة فأربت ذلك كله، فخرج من النصارى ثلاثمائة رجل مستغيثين بحسان مما نزل بهم من الكاهنة من خراب الحصون وقطع الشجر...**)) [4] وهذا ماخلق بلبلة في صفوفها خاصة من طرف الملاك الروم والذين يمثلون النخبة في جيش الكاهنة ما أدى الى إزدياد الاستياء من فعلها و هذا يعتبر أحد عوامل إنهزام الجيش البربري سنة 82هـ وانتهاء أمر الكاهنة عند بئر سمي بإسمها، وبذلك لم يبقي حسان على أي أثر للمقاومة في المغرب

1. العروي عبد الله، المرجع السابق،ص124
2. سيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص 159
3. المرجع نفسه، ص161-162
4. الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت900هـ)، **الروض المعطار في خبر الاقطار**، ت إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت،1984، ص ص 65-66.

الادنى ليتجه بعدها الى قرطاجنة للمرة الثانية لتطهيرها من البيزنطيين، واستردادها. فاضطر هؤلاء الى الفرار بحرا و بذلك إنتهت آخر حلقات الوجود البيزنطي في المنطقة"[1] .

3-إشكاليات الكتابات المصدرية العربية:

ان تحليلنا لهذهالأ حداث من خلال هذه النصوص والكتابات تطرح علينا العديد من الإشكاليات:

1.3-فأما الاشكالية الأولى تتمثل في عدم تحري الدقة، ذلك ان أقدم أحد هذه المصادر هي بعيدة عنالأ حداث ولم تعايشها فكانت بينها وبين هذه الوقائع أكثر من قرن ونصف .

2.3-الاشكالية الثانية: تتعلق بمضمون هذه الكتابات ذلك ان اغلبها يكرر نفس المعلومات وسياق بعضالأ خبار الموضوعة. وبالرغم ان **كتاب المسالك والممالك** لابي عبيد الله البكري سنة 453هـ/1068 الذي نستطيع ان نلمس في كتاباته نوع من الواقعية التاريخية والاختصار المفيد في مثل هذه الحالات بالإضافة الى انه سيكون المرجع الذي سيعتمد عليه بقية الجغرافيين والرحالة، رغم انه لم يغادر قط بلدهالأ صلي الأندلس واكتفى بما جمعه من معلومات عن روايات التجار او الحجاج الذين زاروا ومروا بالمدينة. في حين ان صاحب كتاب **"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"** للمقدسي (336هـ 380-هـ)، وقد كان هو الآخر شاهد عيان لتطور مدينة المغرب الاسلامي في القرن الرابع الهجري مع يتميز به كتابه من وصف جيد مع ذكر للعجائب والمسافات قد اكتفى فقط وللأسف بتخصيص سطر واحد عند تحديده للمسافة التي تربط بين بعض المدن الأوراسية كمجانة وتبسة "[2]، ولكن عزائنا في اخبار القرن السادس الهجري كان عند صاحب الاستبصار فهو المؤلف الوحيد الذي خصص حوالي صفحة كاملة لخبر جبل الأوراس ومدنه وهذا ما أثبته بقوله((**ومن الجبال المشهورة بإفريقية جبل أوراس وهو جبل خصيب فيه مدن كثيرة وفيه آثار كثيرة للأول** وفي موضع آخر **وهذا الجبل يشق بلاد المغرب و إفريقية.... ومدن خربة مثل مدينة طنفة وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة...**))ثم يذكر

1 . سيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق ص162- أنظر أيضا البكري، المصدر السابق ص38. أيضا: المالكي ص38.

2 . المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري(336 هـ-380 هـ)، المصدر السابق،ص247.

مدينة شقبنارية وقبلها مدينة باغاية التي قال عنها: **((وهي مدينة عظيمة جليلة فيها آثار للأول..))** [1].

ورغم هذه المعاينة التي كشف فيها عن أحوال و أخبارالأوراس بعد مرور حوالي ست قرون منذ نهاية الوجود البيزنطي وبداية الفتح الاسلامي فقد استرسل في ذكر بعض التفاصيل رغم اهميتها الميثولوجية، وكنا نأمل ان يزيدنا تفصيلا -وهو الذي زار المدن الأوراسية- عن احوالها ومعايش اهلها ومذاهبهم ومصادر دخلها ونظمها العمرانية، ولكن ومع ذلك يبقى هذا المصدر من احسن وأكثر مصادر القرن السادس الهجري التي تكلمت عن مدن الأوراس بالرغم من تكرار بعض المعلومات والتي اخذ بعض منها عن البكري والادريسي [2].

و نجد من بين المؤلفين المشارقة الذين تحدثوا وخصصوا كلاما عن الإقليم والذي يبدو انه قد عاصر صاحب الاستبصار نجد ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، فبالرغم ان معلوماته تعتبر مكملة لمعلومات عما سبقه من الجغرافيين غير انه لم يورد و لم يخصص الا سطر واحدا ذكر فيه: **(ان هذا الجبل بأرض أفريقية فيه عدة بلاد وقبائل من البربر)** [3] (21).وأما عندما نأتي الى القرن السادس عشر فنجد ان الحسن الوزان يكرر نفس المعلومات التي صاغها قبله الجغرافيون ويضيف عليها بعض الاحكام الشخصية على سكان الاوراس في تلك الفترة و لا نعلم مدى مصداقية هذهالأحكام بالرغم من تبريراته حول هذا الموضوع. [4] وتجدرالإشارة الى ان سبب تكرار نفس المعلومات عند معظم المؤرخين القدامى قد يكون مرجعه اعتمادهم على اهم المصادر، التي كانت متوفرة بين أيديهم مما جعل معلوماتهم متشابهة ولا تتغير إلا من حيث الكلمات المستعملة، او من حيث اضافة بعض الافتراضات الغير المبنية على اسس علمية. [5].

---

1 . مؤلف مجهول(كاتب مراكشي عاش في القرن06هـ/12م)، **صاحب الاستبصار**، المصدر السابق،ص 163-164

2 . المصدر نفسه، راجع مقدمة الكتاب الصفحات الأبجدية: ج+خ+د.

3 . شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(574 - 626 هـ). **معجم البلدان**، المجلد الاول، دار صادر بيروت، دون سنة،ص278.

4 . الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت960هـ/1553)، **وصف إفريقيا**، ت محمد حجي ،محمد الأخضر،ط02،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1983 ، ص102-103.

5 . لحسن تاوشيخت، **عمران سجلماسة**،ج1،ط1، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،2008، ص293.

4.محاور الكتابات الرئيسة التي تناولتها المصاو في حديثها عن جبل الأوراس:

يمكن اجمال اهم المحاور التي تناولتها هذه المصاو المكتوبة في حديثها عن أخبار الأوراس في أواخر الوجود البيزنطي الى معطيين رئيسيين وهما:

1.4.المعطيات التاريخية:

تتفق جميع المصادر على ان مدن إقليم الأوراس هي مدن قديمة سابقة للعهد الإسلامي من خلال استخدام مصطلحات تتكرر كثيرا في المصادر الجغرافية والتاريخية وهي:
(مدينة اولية فيها اثار للاول كثيرة ، بلد قديم به اثار الملوك ، بلد قديم، مدينة قديمة ازلية، فيها اثار كثيرة للأول، بلد مشهور من افريقية، مدينة عتيقة حصينة). ولعل ورود مثل هذه المصطلحات تأكد على اهمية هذا الإقليم قديما وازدهاره أيام الرومان وإستمراره الى غاية العهد البيزنطي (مع بعض الاستثناءات)، ولكن دوام الحال من المحال لأننا سنجد ان اوضاعها ستتغير تماما في العصر الوسيط خاصة بعد القرن الرابع الهجري لنجد نفس هذه المصادر متفقة على مصطلح مشترك وهو **"الخراب"** الذي تعرضت له هذه المدن. وللاسف فقد استمر هذا الخراب طويلا كظاهرة تاريخية قروسطية تشترك فيها الكثير من مدن الأوراس و أفريقية، ليأتي الحسن الوزان في القرن 16م ليرثي حال الكثير من المدن الأوراسية.و كان الاتفاق عند معظم هذه المصاو على ان هذه المدن قد تعرضت لحروب طاحنة منذ العقود الأولى للفتح الاسلامي وإستمرارا الى القرن الرابع الهجري خاصة الحروب التي دارت بين الشيعة الفواطم والاباضية النكارية بزعامة ابو يزيد مخلد بن كيداد[1]. واما الشيء الثاني فمرجعه الى الهجرة الهلالية والضغط الاقتصادي والتجاري وحتى الديمغرافي الذي مورس عليها، والذي ادى الى الاختلال في النظام الجمعي والاقتصادي وادى الى تغير في ديمغرافية هذه المدن كنتيجة لانعدام الأمن، وتردي الاوضاع بها الى مستوى الحضيض. ما جعل ابن خلدون (722-808هجرية) يدرس هذه الظاهرة في مقدمته من خلال تناوله بالإجابة عن ثلاثة أسئلة هامة:

أولا: لماذا كانت المدن قليلة بالمغرب؟[2]

ثانيا: لماذا يسرع الخراب إلى المدن المغربية؟

---

1. ابن خلدون عبد الرحمن، (732هـ-808هـ)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر**، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت. 2000. ج07.ص20
2 . المصدر نفسه،(المقدمة)، ص ص147-148.

ثالثا: ما العلاقة بين المدينة وانقراض الدولة المؤسسة لها؟[1]

إنها أسئلة طرحها ابن خلدون، وأجاب عنها بما يمكن من فهم لميكانيزمات عمران مدن أفريقية والمغرب الاسلامي والعوامل المتحكمة فيها[2]. فهذه الأسئلة تسمح لنا بتفسير مختلف الظواهر العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، وتفسح المجال لتطوير آفاق البحث حول المدن الاوراسية والمغرب الاسلامي. مع أن المؤرخ ابن خلدون في تاريخه لم يجاري مقدمته في الشرح والتحليل، ولم نجد له اي اثر عند حديثه عن الاوراس فقد كانت معلوماته هو الآخر قليلة وشحيحة.

وهكذا فقد ظل تاريخ اقاليم المدن الثانوية بعيدة عن أن تسترعي اهتمام المؤرخين الذي ظل موجها أساسا نحو الحواضر الكبرى كالقيروان و تلمسان و مراكش وفاس....

2.4.المعطيات العسكرية:

من خلال تحليلنا لبعض المصادر خاصة ما ذكره المالكي في كتابه رياض النفوس **((ثم سار لا يدافعه أحد حتى إنتهى(الى) باغاي والروم يهربون من طريقه يمينا وشمالا فحاصرها وقد إجتمعوا بها فقاتلهم قتالا شديدا ثم إنهزم العدو فقتلهم قتلا ذريعا وغنم أموالهم))**. ايضا مدينة لميس**((فضرب الله عز وجل في وجوه الروم فقاتلهم الى باب حصنهم..))** [3] فيبدو ان غالبية هذه المدن والحصون الاوراسية مسيطر عليها من قبل الروم البيزنطيون وهي بمثابة جيوب مقاومة أخيرة أنهى وجودها جيش المسلمين بل وتعداه الى إنهزام الروم في دار ملكهم يومئذ وهي مدينة أذنة كما ذكر المالكي: **((...فسأل (عقبة) عن أعظم مدينة لهم فقيل له "أذنة" وهي دار ملكهم(يقصد الروم) .....فانهزم الروم.....واستولت الهزيمة على بقيتهم وفي هذه الغزوة ذهب عز الروم من الزاب..))** [4] والزاب كما هو معروف جزء متاخم لجبل الاوراس وهي سياسة عسكرية إتبعها عقبة للإجهاز على البقية الباقية من الروم البيزنطيون وهم في حصونهم بعد إنهزام ملكهم جرجير كما أسلفنا الذكر. وبالرغم من ذلك فقد بقي خطر الروم واقعا قائما وسيتبعون أخبار ويرسلون جواسيسهم الى أن يوقعون بعقبة و أصحابه ويقتل بحصن تهودة وكانت هذه من أخطاء عقبة الاستراتيجية لما ظن و استهان بقلة الروم

1 . المصدر نفسه،ص 149.

2 . بوتشيش القادري بوتشيش، **تاريخ المغرب الإسلامي** ،ط01، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت.1994.ص127.

3 . لمالكي، المصدر السابق، ص35.

4 . المصدر نفسه، ص ص 36-37.

وبقاياهم خاصة بتهودة وبادس ونسي التحالفات التي ستكون بينهم وبين البربر وبزعامة قائدهم كسيلة بن لمزم لانه لم يأخذها في الحسبان و فرق أغلب قطاعات جيشه من حوله، فكان مرصدا سهلا لأعدائه.

و هذا الفارق التاريخي و العسكري سيجعل الروم يباشرون تحالفهم مع البربر ضد المسلمين وهذا ما سنلاحظه منذ أنهزام عقبة الى غاية آخر حلف الذي كان بين الروم والكاهنة وهي إستراتيجية عمد إليها الروم كأمر واقع بسبب قلة تعدادهم وإستقوائهم بالبربر وقبولهم للقيادة البربرية وعن مضض سواء أكان كسيلة او الكاهنة اللذين تقلدا زعامة البربر والروم مجتمعين بعد مقتل عقبة وإنهزام حسان بن النعمان في المعركة الاولى مع الكاهنة وجلوسهما على كرسي الحكم بالقيروان لسنوات، كما ويلاحظ ايضا أنه بعد لجوء الكاهنة لسياسة الارض المحروقة تسبب هذا الامر في تفكيك العقد الذي كان بينها وبين أصحاب المصالح ونخبة القوم من الروم فأراد حسان يستفيد من هذه الفرصة وبعد أن جائته الامدادات من الشرق أصبح الان بإمكانه غلبة الكاهنة وجيشها الذي أحبطت معنوياته وإمكانياته بما فعلته زعيمتهم فكان ذلك عمليا أحد أهم عوامل إنتصار حسان فيما بعد على الكاهنة ومن معها من الروم سنة82هـ. و أخيرا وعقب إنتصاره عمد الى سياسة جديدة تمثلت بالاساس على نزع شوكة الروم بما هو يمثل ركيزتهم التموينية والمتمثلة في تجنيد البربر ضده لذلك إشترط على قبائل البربر مقابل ان يعطيهم آمانه أن يعطوه**(من قبائلهم إثني عشرة ألف فارس يكونون مع العرب مجاهدين فأجابوه وأسلموا)** [1] ولكي تستقيم له الامور نهائيا توجه حسان وللمرة الثانية لآخر معقل كان يمثل بالنسبة للامبراطورية البيزنطية الملجأ الاخير والبوابة البحرية في أفريقية التي كان الروم ينطلقون منها لمحاربة المسلمين، لذلك قام حسان بتطهيرها من البيزنطيين، وأنشأمن القرب منها ميناءا وقاعدة بحرية جديدة وهي تونس اليوم. [2] وبذلك تخلص نهائيا من البيزنطيين في افريقية.

نتائج الدراسة:

وفي الأخير يمكننا الخروج بمجموعة من النتائج خرجت بها هذه الدراسة النقدية لمختلف المصادر العربية التي تحدثت عن تاريخ الأوراس في نهاية الوجود الرومي البيزنطي وبداية الفتح الإسلامي:

1. المالكي، المصدر السابق، ص 56.

2. سيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق ص162.

1-تشترك المصادر التاريخية والجغرافية لموضوع دراستها في جوانب معينة، كما تتباين وتختلف في جوانب اخرى، ويرجع ذلك الى الفترة التي تم فيها تدوين تاريخ هذه المدن وثقافة وشخصية هذا المؤرخ وخلفية انتمائه لها.

2-جل المصادر التي تكلمت عن تاريخ الأوراس ومدنه لم يخصص لها الا بعض الأسطر مما ادى الى استحالت التوسع في اخبار هذا الإقليم في الفترة الوسيطة.

3-وقع تكرار لنفس الأخبار التي تناقلتها هذه المصادر وجلها لم يأتي بجديد.

4- مكنتنا هذه الدراسة النقدية للمصادر الحولية ان نعرف التدهور العمراني وعمليات التخريب الذي تعرضت له الحواضر الأوراسية عبر قرون من الزمن بسبب انعدام الأمن و انتشار البداوة الذي ادى الى فقدان هذه الحواضر لمكانتها.

5- ان معظم الدراسات التي تناولت تاريخ الاوراس ركزت على تاريخها في الحقبة الكلاسيكية وأهملت اهمالا كبيرا لبقية الحقب وخاصة الفترة الوندالية والبيزنطية.

6-تعتبر حملة المسلمين الأولى بقيادة عبد الله بن أبي سرح إنهاءا رسميا للوجود البيزنطي في أفريقية والأوراس.

7-إن الحركة العسكرية التي قام بها الروم البيزنطيون في المدن الأوراسية لم تكن إلا تمثيلا شخصيا للملاك الروم تحكمت فيها المصالح والمطامح السياسية والاقتصادية.

8- مكانة بعض الحواضر الاوراسية في آواخر العهد البيزنطي كحصون منيعة و إزدهارها التجاري والاقتصادي كتهودة وباغاية مما لاشك فيه إعتمادا على ما صرحت به بعض المصادر العربية.

9-إن إنتصار المسلمين أو غلبتهم للبربر تحكمت فيه جملة من المعطيات العسكرية وعلى رأسها تطعيم جيوش المسلمين بجنود هم أصلا من البربر وهذا العمل ساعد قيادة الجيش في كثير من المناسبات على ترجيح كفة الانتصار على خصومهم، وإن سياسة الارض المحروقة التي إنتهجتها الكاهنة بين سطحية العلاقة التي كانت بينها وبين الروم والذين تضرروا كثيرا من هذه السياسة.

10- إن خطط القادة المسلمين منذ الحملة الثانية التي قادها عقبة بن نافع سنة 62هـ، كانت موجهة بالاساس نحو الحصون الرومية البيزنطية المحيطة بجبل الاوراس لأنها كانت تمثل العقبة الاولى لنشر الاسلام بين جموع البربر، ولا أدل على ذلك فإن حصن تهودة هو أحد أسباب إستشهاد عقبة بن نافع كنتيجة للتعبئة والتحريض البيزنطي للبربر ولقائدهم كسيلة ضدالجيش الاسلامي.

11-إن أمل امبراطور الروم كان قائما لإسترجاع ممتلكاته في أفريقية وهذا بالاعتماد على ما تسفر عليه مختلف الحروب التي كانت بين المسلمين والبربر خاصة و أنه في المرحلة الاولى عمل على إسترداد المراكز البحرية خاصة ميناء قرطاجنة بمجرد أن علم بهزيمة المسلمين.

هذه اذن جملة من النتائج التي نستطيع القول من خلالها ان دراستنا النقدية لهذه المصادر انارت لنا طريقا لفهم واقع الوجود البيزنطي في القرون الوسطى واهم التحولات التي تعرض لها اقليم الاوراس وانعكاس ذلك على حياة سكانه فيما بعد.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون عبد الرحمن، (732هـ-808هـ)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر**، مراجعة، ج07، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت. 2000.
2. ابن خياط خليفة(ت240هـ)، **تاريخ خليفة بن خياط**، ت أكرم ضياء العمري،ط2، دار طيبة للنشر، الرياض 1985.
3. البكري ابو عبيد،**المسالك والممالك**،ت جمال طلبة،المجلد الثاني،ط01، دار الكتب العلمية،بيروت،2003.
4. الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت960هـ/1553)، **وصف إفريقيا**، ت محمد حجي ،محمد الأخضر،ط02،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1983 .
5. الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت900هـ)، **الروض المعطار في خبر الاقطار**، ت إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت،1984.
6. المالكي،عبد الله بن محمد،(توفي بعد 453هـ) **رياض النفوس**، ت بشير البكوش،ج1،ط2، دار الملايين،بيروت1994 .
7. المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري(336 هـ-380 هـ)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3،مكتبة مدبولي، القاهرة. 1991.
8. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(574 - 626 هـ) **معجم البلدان**، المجلد الاول، دار صادر بيروت، دون سنة.

9. مؤلف مجهول(كاتب مراكشي عاش في القرن06هـ/12م)، **الإستبصار في عجائب الأمصار**، ت سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد. دون سنة.
10. -ابن عبد الحكم(ت257هـ)،**فتوح مصر والمغرب**،ت عبد المنعم عامر،ج1،الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دون سنة.
11. -البلاذري أبو العباس(ت 279هـ)،**فتوح البلدان**، ت عبد الله أنيس الطباع – عمر أنيس الطباع، ممؤسسة المعارف – بيروت،1987.
12. العروي عبد الله، **مجمل تاريخ المغرب**،ط1،المركز الثقافي العربي،الدارالبيضاء،2007 .
13. بوتشيش القادري بوتشيش، **تاريخ المغرب الإسلامي** ،ط01، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت.1994.
14. سيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الاسلامي**،مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،1982 .
15. لحسن تاوشيخت،**عمران سجلماسة**،ج1،ط1، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،2008.
16. -عمارة علاوة، موساوي زينب، **مدينة الجزائر في العصر الوسيط**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد10، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2010.

17. Despois. (J), **La bordure saharienne l'Algérie oriental**, Revue Africaine,. 1942
18. Robert.(C), **L'Aures terre inconnue , Encyclopédie mensei d'autre mer,** Vol V, Paris, janvier 1955.